

تقرير صحفي

يعقد مركز القطان للبحث والتطوير التربوي – مؤسسة عبد المحسن القطان مؤتمرة التربوي الثالث تحت عنوان "تجارب تطبيقية حول ممارسات التعليم وتجاربه" يومي الجمعة والسبت 18-19 كانون الأول 2009 في قاعة جمعية الهلال الأحمر - البيرة. وما يميز هذا المؤتمر عن الأول والثاني للمركز هو أن معظم مداخلاته تقوم على تجربة المعلمين، فعلى مدى يومي المؤتمر يروي لنا ثمانية عشر معلماً ومعلمة تجاربهم التي طورها وتطور معها.

يستضيف المؤتمر عدد كبير من المعلمين والتربويين، وسيلقي الأستاذ محمد أبو زيد وكيل وزارة للتربية والتعليم العالي كلمة افتتاحية في المؤتمر. وسيتمخلل الجلسات عرض مشاهد سينمائية هادفة وذات مغزى تعليمي وتربوي مقتبسة من أفلام عالمية. كما يتضمن المؤتمر على مدار اليومين خمس جلسات يتم في كل جلسة عرض مجموعة من تجارب المعلمين من قبل المعلمين أنفسهم.

سوف يطلع المشاركون في المؤتمر على تجارب مميزة وفريدة من معلمين ومعلمات من مختلف المناطق الفلسطينية من القدس، الناصرة، عكا، بيت لحم، الخليل، رام الله، نابلس، طولكرم. إن هذا التنوع ينسحب أيضاً على صعيد موضوعات التجارب، فهناك تجارب تبحث في اللغة، وأخرى تبحث في التاريخ، وتجارب تبحث في العلوم وتكاملتها مع الحياة، وتجارب تقوم على توظيف الدراما في التعليم، وأخرى على توظيف الرسوم المتحركة، وأخرى تنقش في الذاكرة والمكان، وتجارب أخرى تستكشف مع الطفل.

يقول وسيم الكردي مدير المركز بأن أهمية المؤتمر تكمن في أن "التجارب الواقعية للمعلمين ستكون هي العمود الفقري للمؤتمر الثالث، فكل معلم في هذا المؤتمر سيقوم باستعراض تجربته مع طلبته" هذه التجارب التي هي نتاج علاقة وتفاعل مباشر ما بين المعلمين ومركز القطان للبحث والتطوير التربوي عبر برامج ومشاريعه، من خلال نسج حوار فاعل حول أفكار وموضوعات وطريقة عرض تجارب المعلمين بصور فردية وجماعية.

تقول المعلمة ريماطه والمشاركة في تجربة "التعلم: مغامرة البحث عن حكمة (القصة والعبير)" بأن التجربة: عنت لي الشيء الكثير فقد أثرت علي على المستويين الشخصي والنوعي فالمستوى الشخصي؛ قد غيرت من طريقة نظري لأمر. أما على المستوى المهني فقد غيرت وسائلتي في طرق التعليم... الآن أنا قادرة على انتقاد نفسي وطريقة عملي والسعي الدائم نحو التغيير نحو الأفضل.

ويقول المعلم معتصم الأطرش عن تجربته "نحن نتعلم نحن نقرر... الأطفال يتسلمون السلطة": هذه المشاركة هي بمثابة صوت للجميع بأننا كمعلمين موجودين نمتلك أفكار ولدينا مواهب وطلابنا أيضاً لديهم الكثير ويمكننا أن نطور تعلمنا لكي يصل صوتنا من خلال المؤتمر، وقادرين على التطور وإحداث التغيير وإيجاد أساليب تعليم جديدة، وهذه المشاركة مفيدة باتجاهين أولاً: عرض شيء جديد يمكن للمتابعين الاستفادة منه، وثانياً: للمعلم أن يستفيد من التغذية الراجعة حتى نعيد النظر في عملنا ونسعى لتطويره.

يرمي المؤتمر على المدى البعيد إلى تأثير والتأثير التي نطمح بأن تأخذ حيزاً لعمل ودافع لعطاء مغاير لمعلمين آخرين ويقول الكردي "صحيح أن تجارب المعلمين الواقعية لن تكون نموذجاً للاقتداء أو الاحتذاء، ولا نريدها كذلك، بل قد تكون ملهمة لمعلمين آخرين باتجاه أنهم أيضاً يملكون القدرة على القيام بما يقوم به غيرهم من المعلمين الذين سيعرضون تجاربهم في المؤتمر"

هذه التجارب متنوعة من حيث الموضوع وطريقة العرض، وهي كما ذكرنا نتاج مباشر لعمل المعلمة الطالبة ومركز القطان للبحث والتطوير التربوي، تجارب علمية وأخرى إنسانية وظفت فيها رؤى وفلسفات اجتماعية وثقافية وإنسانية تهدف إلى زيادة مقدار الحساسية للحيز المكاني وما يحمله من ذاكرة وتاريخ، وحساسية للحيز الزمني وما يحمله من رؤى آفاق مستقبلية.

تقول المعلمة فيفيان طنوس أيضاً عن مشاركتها في المؤتمر في تجربة "القصة بيت الطفل... الأطفال يستكشفون القصص وينتجون معانيهم": أحببت أن أشارك معلمين آخرين بمعارف وممارسات تعليمية جديدة اكتسبتها من خلال مشاركاتي في مدرسة القطان الصيفية والتي كان لها تأثير كبير على صعيدي المهني حيث ساعدتني في تطوير واكتساب أساليب تعليمية جديدة انعكست على طالباتي بشكل إيجابي وظهر ذلك من خلال شوقهم الزائد باكتساب كل ما هو جديد واستيعابه بشكل سلس ومرح بالوقت ذاته، وبالنسبة لي هذه أول مشاركة لي في مؤتمر خاص بالقطان حيث أنها كمؤسسة ملتزمة جداً وتسعى دوماً لتطوير العملية التعليمية والمعلمين.

تجارب تقدم صورة مغايرة لإمكانيات المعلم ولقدرة الخلاقة على الإبداع والتغيير على نحو يتجاوز فيه حدود المنهاج من جهة ومن جهة أخرى القدرة على رؤية المنهاج بصورة أوسع وأعمق من أجل التغيير، ويقول مالك الريماوي في هذا الصدد بأن "التعليم لن يتغير لا كممارسات ولا كسياسات إذا بقينا نتحدث عن (مواصفات التعليم الجيد) دون أن ننخرط في فعله، ولذلك هذا المؤتمر تتويجاً لمسار طويل من العمل المستند إلى فعل المعلمين وممارساتهم في المجال الصفي، فعل يقوم على قراءة الممارسات والعمل على تطويرها وإعادة وضعها في سياقات تتيح للمعلمين والطلاب مساحات أكبر من التجريب، التطوير، والتعبير، والمراجعة، وإعادة النظر في الكثير من مسلمات التعليم وإشكالاته".

وفي سياق تجربة "حياة المشهد وذاكرة المكان/ بحث أنتروبولوجي في سياق تعليمي" للمعلمان محمد الخواجا ويوسف الخواجا يشيران إلى أن "تلك العلاقة الديناميكية بين مركز القطان ومدرسة المدينة وأهالي المدينة قد خلقت حالة من التفاعل يمكن وصفها بحالة مبدعة وفريدة، حيث تم عبر المشروع خلق حوار ثلاثي حقيقي بين باحثي مركز القطان ومعلمي مدرسة المدينة وأهالي قرية المدينة، حوار قاده وأنتجه طلاب مدرسة المدينة، حيث كانوا هم الفاعل الأول في إنتاج تعلمهم وكتابة حكاية قرتهم".

في مجمل هذه التجارب تفاعلات مغايرة وأدوار مقلوبة وممارسات تسعى لقراءة الواقع وما يحمله من هموم ومشاكل وتفاصيل، ولكن قراءة تسعى لتجاوز حرفيتها على نحو يقود إلى تغيير هذا الواقع بانسجام مع خصوصية السياق الفلسطيني.

وما يميز المؤتمر الثالث للقطان بحجم تنوع التجارب وتنوع المعلمين القائمين على هذه التجارب، تجارب علمية بنفحة اجتماعية كتجربة "الهوية والألم؛ عمل الجهاز العصبي عبر استخدام الأفلام التعليمية في تعليم العلوم" للمعلمة كنانة الدجاني. وتجربة "تجربتي في الثقافة العلمية: بناء المعرفة من خلال طبيعة العلوم" للمعلمة ختام أنو زين بالإضافة إلى غيرها من التجارب العلمية التي تسعى إلى تقديم صورة مغاير عن العلوم الطبيعية على نحو ترتبط بصورة تكاملية مع حياة الناس ومعارفها. بالإضافة إلى العديد من التجارب الأخرى حول هذا الموضوع.

وتتحدث المعلمة كريمة عوض الله عن تجربتها ومشاركتها في المؤتمر: هذه المشاركة تعني لي الكثير "عرض لتجربتي الشخصية للغير تعني الكثير كما أنني أحصل على تغذي راجعة من المعلمين المشاركين، وسيتيح المؤتمر فرصة عرض هذه التجربة على بقية المعلمين للإستفادة منها وتطويرها أيضاً.

ويقدم المؤتمر أيضاً مجموعة من التجارب حول توظيف الدراما في التعليم، كتجربة "بناء وإعادة بناء المعرفة من هلال الدراما وعبرها" للمعلمة سوسن مرعي. وتجربة "دراما عباءة الخبير: من التلقي إلى الإنتاج" للمعلمة رائدة حسن، بالإضافة إلى تجارب أخرى تأخذ منحى المعنى والمكان كتجربة "النكبة بين التعليم والتاريخ" للمعلمتين باسمة صواف وأمل قطاوي اللتان تلخص تجربتهما بالتالي " هي نضوج وعبور، نضوج مهارات وخبرات تم اكتسابها عبر مدار سنوات من خلال تردنا على مركز القطان وتفاعلنا مع الأنشطة التي يقدموها للمعلمين والمعلمات، لتنتقل تلك الخبرات فيما بعد إلى الطالبات عبر تفاعلات عدة سيتم عبورها نحو مرحلة أكثر اتساعاً وعمقاً فهذه التجربة تعني نضوجاً مهنيًا للمعلمة ونضوجاً معلوماتي للطالبات حيث تم المزج بين مادتي التاريخ واللغة العربية من خلال العبور إلى ذاكرة الأجداد عبر عمليتي التفاعل والبحث".